مدير المدرسة الابتدائية توقف عن عد الاطفال الذين قتلوا من مدرسته

قرية اليامون نموذج للارهاب الاسرائيلي: قتل الاطفال وهدم المنازل بدم بارد

■ كانت في طريقها الى الطبيب ووصلته حقا ولكن في غير احتياج اليه. سافرت أكابر زايد الصغيرة مع عمها الى الطبيب لازالة خيوط العملية من وجنتها ووصلت الى ذلك الطبيب ميتة. رأسها مهشم ومخها متناثر.

اطلق جنود وحدة المستعربين من حرس الحدود النار من مسافة قصيرة نحو سيارة الاجرة لعمها حينما وقفت بقرب عيادة الطبيب. يزعم العم ان جميع مزاعم المستعربين التي سلمها الجيش الاسرائيلي الى الاعلام، وكأنهم اطلقوا النار نحو اطارات سيارة الاجرة بـ«اجراء اعتقال مشتبه فيه» ليست سوى اكذوبة: فسيارة الاجرة ثقبت من جانبها الايمن ومن الوراء واخترقت الرصاصات نوافذ سيارة الاجرة. رأينا سيارة الاجرة: جميع الرصاصات في جزئها العلوي. لم تزد مسافة اطلاق النار على بضعة أمتار، يضيف العم ويؤكد، وكان مصباح الشارع ينير الساحة. رأينا في هذا الاسبوع سيارة الاجرة ـ على عكس مجرى «التحقيقات» من الجيش الاسرائيلي وحرس الحدود، الذين لم يجهدوا انفسهم قط في فحص السيارة او التحقيق مع العم الذي قادها، والذي اصيب ايضا باطلاق النار ويعالج الان في المستشفى ـ وأخذنا شهادة العم، ولم نجد أي تفصيل يناقض شهادته: لقد أطلق مستعربو حرس الحدود النار على الطفلة من اتجاهين ومن قريب، بغير أي تحذير أيضا كما يقول. لا يوجد أي حامل بندقية، وخاصة قناص محترف من حرس الحدود، يسدد من مسافة قصيرة كهذه الى الاطارات ويصيب الرأس.

في منحدر الشارع، على مبعدة مئات الامتار من حلبة قتل الطفلة، تقوم بقايا آثار الدمار والخراب التي زرعتها عملية حرس الحدود الفاشلة. لم يعتقل أي مطلوب، لكن بيت شقق من خمس طبقات تضرر شديدا ويقوم في الشارع هياكل السيارات المسحوقة سحقا تاما واحدة بعد الاخرى.

لماذا أطلق المستعربون النار على الطفلة؟ كيف يجرؤون على زعم انهم سددوا الى الاطارات؟ لماذا في الاصل اطلقوا النار على سيارة اجرة سائجة؟ لماذا زرعوا هذا القدر من الدمار؟ لماذا سحقوا السيارات، وهي آخر مصدر رزق لاصحابها؟ ما الفرق بين عملية حرس الحدود هذه وعملية ارهابية؟ ولماذا لا تُسأل جميع هذه الاسئلة؟

لم يسافر الاب الثاكل مع ابنته الى الطبيب. يقول انه لم يكن يستطيع ان يحتمل رؤية الطبيب وهو يخرج خيوط العملية من وجنة ابنته الصغيرة. كانت اكابر في الثامنة والنصف، طالبة في الصف الثاني في بلدة اليامون، شمالي غرب جنين. تبدو في صورة تخليدها للتكريم. طفلة صغيرة مع قبعة جامعيين. هكذا يتصرفون في روضة اطفال اليامون: يصور الاولاد الممتازون مع القبعات الجامعية. وهكذا ستذكر أيضا في الوعي العام لهذه البلدة، التي عمل ابناؤها مرة في اسرائيل، وليست اكابر هي الطفلة الاولى التي يدفنونها. كم قتل من الاولاد في السنوات الاخيرة في اليامون؟ يعدهم مدير المدرسة الذي أتى ليعزي العائلة واحدا واحدا ويكف فجأة عن عد الموت: «لماذا أعد؟ هل انقطع قتل ابنائنا؟».

دخل الاب غرفة العزاء في مبنى المجلس المحلي، وعيناه محمرتان من البكاء. عبد الرحمن زايد، في الـ 31، اب لستة، يسوق سيارة تجارية تسافر في شارع الضفة عندما يمكن ذلك. قبل نحو ثلاثة اسابيع سقطت اكابر على درج بيتها وجرحت وجنتها. في يوم الجمعة الماضي حان موعد ازالة خيوط العملية. عندما عاد عبد الرحمن من العمل وقضى راحته، في المساء، طلب الى اخيه، كمال، الذي يلقبه «حمودي» وهو سائق سيارة اجرة في الـ 27 ان يذهب مع اكابر الى العيادة في بيت الطبيب، في أعلى البلدة. كان ذلك في ليلة السبت الاخير، آخر سبت في حياتها.

أخذ أخوه الطفلة، التي جلست في المقعد الى جانبه وذهبا معا الى الطبيب. يريد الاب أن يؤكد: نوافذ سيارة الاجرة شفافة، غير كامدة اللون، ولا تغطي اية ستارة الجالسين فيها. يستطيع كل جندي أن يرى من يجلس فيها، ويستطيع كل فرد من افراد حرس الحدود أن يرى ان طفلة صغيرة كانت في سيارة الاجرة. سافر الاثنان الى الطبيب ووصلا في غضون زمن قصير طرف الشارع الذي يوجد بيته قبالته. يتحدث كمال عن سريره في المستشفى الحكومي في جنين المجاورة، وقد لفت يده بسبب اطلاق النار عليها، عن أنه بعد أن اوقف سيارته لاحظ فجأة عددا من الجنود على يمين السيارة. الشارع ضيق ووقفوا على مبعدة بضعة امتار من سيارة الاجرة. يقول ان النار فتحت على الفور، من يمين ومن الخلف. بعد اطلاق النار فقط سمع صرخات بالعبرية، وهي لغة لا يتحدثها. كانت اكابر ملقاة على المقعد بجانبه ورأسها مهشم.

حملها على راحتيه وأمره الجنود بأن يضعها على الشارع وان يخرج في إثرها. وهكذا بقي على الشارع، جثة الطفلة الميتة وعمها الجريح. أمره أفراد الشرطة الخاصة أن يرفع قميصه ويجلس. استمروا بحسب قوله في اطلاق النار في الهواء. أخذ أحد الجيران الطفلة الى العيادة المجاورة، الى الطبيب الذي انتظرها. ومن هناك أُخذت الى المستشفى في جنين، حيث قرر موتها.

لفت يد العم في المكان وأُخذ في سيارة الجيب العسكري الى التحقيق. يقول ان الجنود ضربوه. وفي سيارة الجيب وقام كلب بشمه، وجندي من حرس الحدود يسمى رسلان لكمه في رأسه حينما تحدث اليه بالعربية. هو نفسه اصيب بثلاث رصاصات، في يده وفي رجله، يقول ان سبع رصاصات اصابت الطفلة، ثلاث منها في رأسها.

سيارة الاجرة الصفراء من طراز رينو ميغان تروي القصة: فاطاراتها سليمة وجسمها مزروع بالرصاص. النافذة الخلفية مهشمة، وثقوب رصاص في مسند الرأس الخلفي، وثقوب في متكآتها. بقع الدم الجامد في كل مكان، دم الطفلة الميتة ودم عمها الجريح. طوال هذا الوقت أخفوا عن الاب أمر موتها. وقد سمع اطلاق النار، فالعيادة غير بعيدة من بيتهم، لكنه لسبب ما لم يفكر في ابنته بل بأخيه فقط. وصل الى عيادة الطبيب وهنالك قيل له ان اكابر قد جرحت. حقنه الطبيب بحقنة تهدئة وكما يقول لم يتنبه منها حتى طلع الصباح. وبعد أن عاد الى بيته فقط، في نحو الخامسة، أبلغه أخوه الثاني الخبر المر. كانت زوجته قد علمت فقد تلقت الخبر بواسطة محطة تلفاز عربية.

من وراء بكائه العنيف، يريد عبد الرحمن أن يقول لنا شيئا ما: أم الطفلة، اكرام، اسرائيلية من مقيبلة. وأكابر ايضا كانت اسرائيلية. فالطفلة ولدت في مستشفى في الناصرة وبطاقة هويتها اسرائيلية. في صبيحة السبت دفنوها في مقبرة اليامون.

ناطق الجيش الاسرائيلي: «في 17 آذار، اثناء نشاط لقوة خاصة من حرس الحدود لاعتقال مطلوبين في قرية اليامون، شمالي غرب جنين، أحاطت القوة بمنطقة اشتبه في أن فيها مطلوبين. في اثناء الحصار لاحظت القوة سيارة اجرة مشتبه فيها اقتربت من المنطقة المحاصرة وبدأت باجراء اعتقال مشتبه فيه. وعندما لم يستجب للنداءات، اطلقت القوة النار على سيارة الاجرة».

قولوا بربكم: هل يخطر في بال أحد أن العم لم يكن سيستجيب لنداءات الوقوف لو كان الجنود ينادون بها؟ أخذ الرجل ابنة أخيه الصغيرة الى الطبيب. الاساس أن «الجيش الاسرائيلي يأسف لاصابة الطفلة الفلسطينية ويجري تحقيقا شاملا للفحص عن ظروف الحادثة».

حلبة الدمار: في يوم الاحد أزالت جرافة فلسطينية الانقاض بقرب بيت الشقق لابناء عائلة زايد في البلدة. انه مبنى من خمس طبقات، اشتبه المستعربون في أنه يستعمل مخبأ لمطلوبين بحثوا عنهم، وهو يقف الان نصف مدمر. اصبح ابناء البيت يسترون الثقوب الضخمة بملابس داخلية رمادية، أما أعمدة المبنى الفاره نسبيا فتهدد بالانهيار. في الاسفل في الساحة تقف هياكل السيارات المسحوقة التي لم يبقَ منها ذكر: سيارة مرسيدس اجرة صفراء، وسوبارو بيضاء وعلب صفيح اخرى كانت سيارة حتى ليل السبت. يخرج محمد زايد صاحب احدى الشقق في المبنى من الانقاض. «هذا هو الجيش اليهودي، هذا هو الجيش اليهودي السيء»، يصرخ بمرارة عم محمد الذي يخرج هو ايضا من الانقاض، في الوقت الذي تزيلها فيه شاحنة تراب.

يستعيد محمد من ذاكرته انه رأى جماعة من الجنود ظهرت عند مدخل حانوت بقالته قريبا من السابعة مساء السبت. طلبوا اليه أن يخرج جميع سكان المبنى، خمس عائلات كبيرة في خمس طبقات، هي لمحام، وطبيب، ومهندس ومعلم. جميع أبناء البيت ـ عدة عشرات من الاولاد والنساء والرجال ـ هبطوا الى الشارع واضطروا الى البقاء هناك حتى الصباح حينما أنهى الجنود عملهم. يقول محمد ان النساء والاولاد اضطروا الى الوقوف مثل ساتر بين النار التي اطلقت على القوة من احد البيوت وبين النار التي رد بها افراد حرس الحدود. بعد أن اخلي البيت، أرسلوا محمد ليتنقل مرة اخرى بين جميع طبقات البيت وليشعل النور في جميع الغرف. كانت جرافة للجيش الاسرائيلي وصلت الى المكان توشك أن تبدأ بالهدم. يقول محمد انه اقترح الصعود مع الجنود ليثبت لهم انه لم يبقَ احد في البيت، لكن الجنود أمروه بالصمت. «نحن نعرف عملنا». قبيل منتصف الليل ابتدأت الجرافة بالهدم. تضرر أيضا البيت المقابل. سأل محمد أحد الضباط: «ايجيز لكم القانون الاسرائيلي فعل ذلك؟» واجابه كما يقول قائلا: «قدم شكوى في الامم المتحدة». حاول أخوه، وهو طبيب أسنان كانت عيادته في واجهة البيت وهدمت تماما، أن يقول للضابط انه طبيب، «دكتور للناس»، كما يقول، وأجابه الضابط: «اسكت يا دكتور».

أخذ محمد زايد ليحقق معه في موقع سالم واطلق في ظهيرة السبت فقط. يقول انه قال للمحققين معه: «تقولون في التلفاز انكم ديمقراطية»، فاجابه المحقق: «الديمقراطية هي التلفاز فقط». انه يعمل ايضا معلما في مدرسة البلدة. «أعلم طلابي دائما أننا نحب السلام، فماذا اقول الان لطلابي؟ أن السلام يبدو على هذه الصورة؟».

نصعد في الشارع الى حلبة قتل أكابر. توجه لافتة الى عيادة الدكتور اياد سمارة، طبيب الخيوط الجراحية. على الشارع، في المكان الذي وقفت فيه سيارة الاجرة، وضع مجهولون سلسلة من الحجارة الصغيرة، تشير الى جسمها الصغير، وما زالت بقع الدم الطرية تمحى من هناك. هذا هو نصب اكابر تطل عليه صورة لياسر عرفات، من أعلى لافتة انتخابية قديمة.

نصب آخر في البلدة. وحينما كنا نجلس في غرفة العزاء عن اكابر في مبنى المجلس سحب أحد السكن وهو صابر عباهرية صورة من جيب معطفه: جثتا ابنه القتيل وصديقه وهما مطروحان مقتولان في سيارتهما المخرقة بالرصاص. أطلق الجنود النار عليهما قبل أقل من أربعة اشهر.

بحسب اقوال الاب لم يكن ابنه لا مطلوبا ولا مسلحا. يريد الان أن يرينا النصب الذي اقامه لابنه. نسافر الى احدى المقابر في اليامون، الى منظر لم نرَ مثله الى الان: فقد علق الاب في أعلى عامود حديدي مرتفع سيارة ابنه المثقوبة بالرصاص، تطل على جميع القبور من الاعلى وفي اسفلها قبرا اخوين. في أحدهما دفن ابنه أحمد عباهرية مع صديقه محمود زايد، وفي الثاني دفن وراد وابراهيم عباهرية، اللذان دفنا حيين تحت مبنى هدمه الجيش الاسرائيلي عليهما قبل عدة أشهر. سيارة بولو فضية، مثقوبة، على عامود حديدي عال وبقع دماء الشابين منثورة على سقفها: «هذا دماغ ابني».

جدعون ليفي
مراسل مختص في حقوق الانسان
(هآرتس) 2006/3/24

الاحزاب اليهودية وبرامجها الانتخابية تتجاهل استمرار الاحتلال والعنصرية الاسرائيلية وفنون استعباد الشعب الفلسطيني

■ أبدا لم أكن من الاصوات العائمة. وأبدا لم أكن راضيا عن هؤلاء المتأرجحين من دون طريق أو هدف كتلك الأوراق التي تطفو فوق سطح الماء مُعرِّضة للرياح والتقلبات.

في هذه المرة، وقبل التوجه الى صناديق الاقتراع بخمسة ايام، ما زلت عائما. أُبحر مرة تلو اخرى فوق سطح الماء المعروض عليّ ومتصفحا مرارا وتكرارا لقوائم كل القوائم، رافضا إياها واحدة تلو الاخرى.

من «كديما» ويمينا ـ كل القوائم مستبعدة بالنسبة لي. هي خطيرة بالنسبة لي ولحياتي وحريتي وديانتي وثقافتي ونفسي وجيراني وللمنطقة كلها. بعض هذه القوائم مقيتة لدرجة الخزي والعار، وبعضها مجرد قوائم لا وزن لها.

كديما نفسه مستبعد (في السياق) بسبب وجود موفاز وديختر في صفوفه. هذان الاثنان بالنسبة لي يجب أن يُقدما لمحكمة الدولة أو لمحكمة الشعوب من قبل ان يصبحا جديرين بالعودة الى تمثيل الجمهور.

كما أن الاحزاب المسماة بـ «اليهودية» ليست عنوانا جديرا بورقتي حسب اعتقادي. رئيس ميرتس صعّب علي جدا اختيار قائمته منذ أن بدأ يتقاسم الأسماك المملحة وعبارات المديح والإطراء مع ايفيت ليبرمان. من يمنح الشرعية لعنصري وشبه فاشي كهذا، ليس جديرا بصوتي.

حزب العمل؟ عمير بيرتس يقول أمورا ذات طعم. وعامي ايلون ايضا يتحدث بعقل ومنطق. إلا أن هذين الاثنين ملفوفان بما تبقى من حزب العمل القديم والسيء. وهذا الجزء المتبقي من حزب العمل، كما تشير التجربة، يتصف برغبة افتراسية لأكل لحم البشر الطري. هم يلتهمون قادتهم الأخيار برمشة عين، ومن ثم يندفعون نحو أحضان كل حكومة موجودة في الحكم. من اكتوى بمتسناع سيحذر بالنسبة لبيرتس. لشدة خزيي لست أعرف قدرا كافيا عما يُسمى بالاحزاب «العربية». هذه الاحزاب كما نعلم قد تنازلت عن صوتي سلفا، وبعضها ـ هذا ما أخشاه ـ مصاب بنزعة شوفينية معينة. النزعة الشوفينية العربية ليست مُحببة على قلبي أكثر من النزعة الشوفينية اليهودية. صحيح أن الدعاية الانتخابية الوحيدة التي تحدثت الى قلبي كانت دعاية قائمة (ك)، وهي قائمة العمال العرب. فيلم بسيط مباشر ومؤثر جدا. ولكن هل يكفي ذلك حتى أعطيهم صوتي؟ ذلك لأن برنامجهم فيما تبقى من القضايا ليس معروفا لي.

ولكن توخيا للحقيقة، أقول إنني ما زلت عائما، ولكن ليس للاسباب المذكورة سالفا. أنا أواصل العوم متأرجحا بين كل الاحزاب المتنافسة التي تملك برامج وفيرة، لأنني لم أجد أي حزب منها يضع على رأس أجندته القضية الواحدة والوحيدة التي تثير اهتمامي فعلا: أجندة الاحتلال. أجندة الطغيان العسكري الوحشي الذي يجعلني أضرب بقبضتي النووية ونعلي المسماري على ملايين البشر. أجندة العفن والفساد والعنصرية والفوقية المتسيدة التي تلتهم المزيد من بقايا النسيج الاخلاقي في دولة اسرائيل.

وكأن كل الاحزاب «اليهودية» قد أخذت على عاتقها المساهمة الخانعة في مؤامرة الصمت التي تساعد الجمهور الاسرائيلي في عدم رؤية وسماع ومعرفة ما يحدث، وما يُرتكب باسمه وبأمواله على مسافة بصقة من أنفه. حتى نتمكن جميعا من مواصلة غض البصر عن الحقيقة الساطعة أن دولة اسرائيل تواصل هناك خلف جبال الظلام في آخر الشارع ـ بحوادث أمنية غير مقصودة وبلادة حسّية ليبرالية من بيروقراطية الاحتلال وشرور صبيانية يرتكبها الشبان في الزي العسكري ووحشية مقدسة من المصابين بالنزعة الدينية المصطنعة ـ لعب دور «الديمقراطي» المفتخر الأفضل فوق المعمورة.

وهذه الأجندة تحديدا هي الوحيدة التي تقض مضجعي. والتي تزيح جانبا كل القضايا مهما بلغت أهميتها وتُقزمها.

ذلك لأنه عبر سنوات الاحتلال والطغيان الطويلة، تحولنا الى دولة تقوم من دون احساس بنزع نسيج حياة ملايين الأبرياء حارمة إياهم من انسانيتهم ومنتزعة منهم حياتهم الكريمة. دولة تقوم فيها مذيعة الأخبار بالاعلان بصوت جاف وموضوعي مهني أن «وزير الدفاع صادق أمس على قائمة اغتيالات جديدة»، ومن دون أن يعترض أحد أو ينبس ببنت شفة. دولة أصبح فيها قتل أبناء العِرق الخاضع للاحتلال عملا روتينيا يوميا. ونهب الممتلكات والاراضي أصبح نهجا متبعا يحظى بالاجماع والمصادقة الصامتة. دولة أصبح فيها قصف الاطفال من الجو غير جدير باحتلال عناوين الصحف، ومزاحمة البرامج التافهة في التلفاز. دولة أصبح فيها ـ حسب دراسة نشرت في هذا الاسبوع في «هآرتس» ـ ثلثا السكان اليهود مصابين بالعنصرية اللاسامية، و40 في المئة من يهودها يُعبرون عن آراء كانت ستدفع سلاح الجو للمسارعة الى قصف من يقولها لو كان غير يهودي. دولة تختبئ فيها سلطات القانون من خلف «الحرب» الصغيرة شبه المرضية ضد أسماك الفساد السلطوي الصغيرة حتى تتملص بمنهجية من التركيز على جرائم الاحتلال الكبرى.

هذه النزعة البهيمية العامة لم تعد مهددة فقط لقدرة دولة اسرائيل على البقاء، وانما أصبحت مهددة ايضا لحقها في الوجود. وعليه، اقول إن من المحزن لي أنه لا تعنيني «الأجندات الاجتماعية» في هذه اللحظة. التركيز عليها في هذه المرحلة هو في رأيي أشبه بالتركيز على تحسين مبلغ تقاعد الزوج العنيف. وطالما كانت يدي تلتف حول رقبة الشعب المستعبد والجائع، فان كل رواتب الحد الأدنى في العالم لن تزحزح شعرة من جسدي.

وهكذا أنتظر عبثا ظهور حزب يضع أجندة الانعتاق من الاحتلال على رأس أولوياته، من دون فذلكة أو ذرائع أو «كتل» ومن دون خضوع لافتراءات المستوطنين ومن وراءهم، حزب يوضح لجمهور الناخبين أننا حينئذ فقط، بعد الانعتاق التام من الاحتلال، سنتمكن من التركيز على ما تبقى من المسائل.

في نهاية المطاف سأتوجه بالتأكيد الى صندوق الاقتراع واؤدي واجبي المدني، كمن أصابه مس. إلا أنني سأبقى عائما حائرا حتى ذلك الحين.

ب. ميخائيل
أديب يساري
(يديعوت احرونوت) 2006/3/24

رغم انها جرت كاجراء ديمقراطي وافقت عليه تل ابيب وواشنطن

اسرائيل تواصل الانتقادات للانتخابات التشريعية الفلسطينية وامريكا تريد تغيير نتائجها

■ تسود حالة من الاستياء والاحتجاج في اوساط الوزارات ذات العلاقة بالموضوع الفلسطيني، وكذلك في اوساط الاجهزة الأمنية ووزارة الدفاع، وذلك بسبب سماح اسرائيل لاشتراك حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية. ويقولون إن ذلك الخطأ مكن حماس من المشاركة في اللعبة الديمقراطية دون أن تلتزم سلفا بمواقف وشروط مسبقة.

غير أنه كان يتوجب خوض الصراع مع حماس حول الشروط قبل الانتخابات، فاسرائيل لم تكن تستطيع منع اجراء الانتخابات في قطاع غزة والتي أعلنت بأنها ستنسحب منها. فكان يتوجب على اسرائيل مطالبة الفلسطينيين تنفيذ الاتفاق المرحلي والذي نص بوضوح على تحديد الاشخاص والاحزاب التي لا يحق لها المشاركة في الانتخابات.

بعض الشخصيات الفلسطينية تقول الان إن اسرائيل هي التي اخطأت بالموافقة على مشاركة حماس في الانتخابات. فقد حاول عباس مرة بعد اخرى تأجيل الانتخابات، ولكنه رغب في ان تقوم اسرائيل بالمهمة بدلا عنه، وذلك لكي يتهمها بذلك فيما بعد، وحين رفضت اسرائيل ذلك فانها وقعت في الفخ الشخصي. يواصلون في اسرائيل اتهام عباس بانه السبب في فوز حماس، ولكن اسرائيل اسهمت في ذلك، فانها حين ارادت بأن تعود فتح للسلطة فانها لم تعطها الا المساعدة اليسيرة جدا.

فوز حماس تسبب في بروز ظاهرة اخرى: انتقادات اسرائيلية شديدة على الادارة الامريكية ـ وهذا على لسان مصادر اسرائيلية رفيعة المستوى، من الذين يتحدثون بشرط عدم ذكر الاسماء. وهكذا، تجد الانتقادات ـ أيضا ـ لدى جهات مهنية على غرار قادة الاستخبارات. فهم يتحدثون بغضب عن الالغاء الذاتي امام الامريكان الذين تحدثوا معهم وخاطبوهم بطريقة «الاملاء واصدار التعليمات». ففي الاتصالات التي جرت، تحدث المندوبون الامريكيون بوضوح عن ان «توجيهات الرئيس بوش هي ان من يريد الاشتراك في الانتخابات (الفلسطينية) الديمقراطية فانه يستطيع ذلك» وان هذه «تعليمات لا بد من تنفيذها». ويقولون الان، ليت اسرائيل عارضت هذه المطالب ورفضت هذه الـ «نصيحة» الامريكية.

ولكن، يجب على الذين ينتقدوه ان يتذكروا، بأن لا اسرائيل ولا الولايات المتحدة تلفظت بكلمة واحدة حول تعهدات الرئيس عباس السماح باشراك حماس في الانتخابات ووفق شروطهم، بل انه تعهد اكثر من ذلك، حيث وافق على موقفهم (حماس) في موضوع اللاجئين حيث أعرب عن تأييده لموقفهم الداعي بعودة اللاجئين الى بيوتهم وأملاكهم. فاتفاق التهدئة، كان عبارة عن كذبة انطلت على اسرائيل ايضا. فالمصريون توسطوا وتعهدت حماس امامهم بأنه اذا جرت الانتخابات دون شروط مسبقة فانها ـ حماس ـ ستوافق على تمديد الهدنة لسنة اخرى.

والانتقادات التي تصدر في اسرائيل موجهة ـ كذلك ـ ضد عدم الفهم السياسي لطبيعة المواقف الامريكية النابعة من سياستها فيما يسمونه بـ «العالم العربي». فمن خلال المسيرة الديمقراطية التي سمح بسببها لحماس بالمشاركة في الانتخابات فان الولايات المتحدة عرضت الاردن للخطر، حيث تعيش اغلبية فلسطينية ومجموعة كبيرة وقوية من الاسلاميين. والضغط الامريكي على الرئيس المصري حسني مبارك لاجراء انتخابات حرة في بلاده كان سببا في احداث تغييرات مهمة في تركيبة البرلمان المصري. فقد لاحظ الرئيس مبارك تعاظم قوة الاخوان المسلمين في الجولتين الاولى والثانية في الانتخابات، ولذلك اتخذ خطوات تشويش على الانتخابات في الجولة الثالثة والاخيرة. وبالرغم من ذلك، فان الاخوان المسلمين استولوا على 19,8 في المئة من مقاعد مجلس الشعب المصري بدلا من 3,8 في المئة في الانتخابات السابقة سنة 2000 وهذا سيكون برلمانا معاديا لاسرائيل وضد السلام معها.

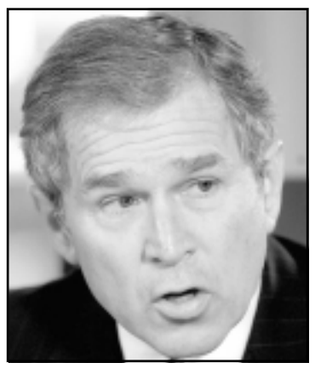

جورج بوش

ان الخطأ الذي وقع قبل اجراء الانتخابات في السلطة، وكذلك استمرار الانتقادات الموجهة للادارة الامريكية ليست أكثر من «حليب مسكوب» على الارض. والان، فليس أمامنا الا التقليل، قدر الامكان من هذا الضرر وفحص الامكانيات التي لا زالت متاحة. كما أن واشنطن ليست مسرورة من فوز حماس وانها تريد تغيير الاوضاع على الرغم من حقيقة أنها ـ الاوضاع ـ نجمت عن اجراء انتخابات ديمقراطية.

زئيف شيف
خبير أمني واستراتيجي
(هآرتس) 2006/3/24

زعيم كديما كان رمزا للملذات وصاحب نزعة للشجار.. وزعيم الليكود يواصل الظهور بمظهر المظلوم ولا يتحمل الضغوط.. وزعيم العمل طاووس بدأ من الصفر

اولمرت صاحب الفرصة الأكبر للنجاح في الانتخابات وعمير بيرتس المرشح القادم.. والمعركة الاخيرة لنتنياهو

■ في يوم الثلاثاء القريب ستنتخب اسرائيل رئيس وزرائها القادم. ثلاثة يتنافسون على المنصب الاول، ايهود اولمرت يبدو مرشحا مؤكدا ومنتصرا لا محالة. الثاني بنيامين نتنياهو هو الوحيد الذي كان هناك في السابق. وهو ايضا بدا قبل أشهر قلائل وقبل ارتكابه لأخطاء كثيرة «مرشحا مؤكدا» ووريثا شبه مؤكد. الثالث، عمير بيرتس، هو الحصان الاسود. المفاجأة. الرجل الذي لم يكن هناك، والذي يأتي من المجهول ليجد نفسه في هذا الوضع سابحا ضد التيار وضد كافة الاحتمالات وقبل دوره بمدة طويلة. ثلاثتهم انطلقوا في الطريق الذي يوصل الى قدس أقداس اسرائيل: مركز صنع القرارات التي يصل بعضها الى المستوى المصيري. أحد هؤلاء الثلاثة سيصل الى هناك.

هذه المعركة قد تكون الأخيرة بالنسبة لنتنياهو. اذا وُجهت له ضربة فسيجد صعوبة في النهوض منها مرة اخرى. أما اولمرت فهذه فرصته التي لن تتكرر. ظروف مذهلة تسببت في زرعه هناك في ظل صدمة صاعقة. بيرتس في هذا السياق موجود في أحسن وضع بالمقارنة مع أقرانه. هو ما زال في اول الطريق، والنتيجة المعقولة ستتسبب في الارتقاء به وتحويله الى مرشح مستقبلي واعد. هو ما زال شابا في هذه الليلة.

ايهود اولمرت، الأمير الليكودي الفطري، كان «مُعدا» للملكوت خلال اغلبية سني حياته السياسية. موهوب وطموح وحاذق وفصيح، إلا أنه لم يكن قريبا من الحقيقة في أي وقت من الاوقات. هو كان أميريا جدا وبعيدا جدا، ولم تدس أقدامه أبدا الارض الموحلة الحقيقية ولم يتجذر في مستنقع النسيج الذي يُجبل منه رؤساء الوزراء. اولمرت فضل المراتب العليا المعتبرة على مناسبات وأفراح اعضاء الليكود في الرملة وبيت شيمش، وأوشك على الخروج من الليكود مرتين خلال السنوات الأخيرة. عندما تراجع شارون عن وعده له بتعيينه وزيرا للمالية وعين نتنياهو بدلا منه. اولمرت استشاط غضبا وفكر بارسال الجميع الى الجحيم والانصراف الى بيته. الرفاق المقربون من أمثال ابراهام هيرشيزون ضغطوا على شارون وعمري لاعطاء اولمرت لقب «القائم بأعمال رئيس الوزراء» وأبقوه في المنافسة.

قلة من الناس يعرفون أن اولمرت أوشك على الخروج من الحياة السياسية مرة اخرى. قبل أكثر من سنة، الأمر حدث عندما أنهى بعد جهود كبيرة إقالة يوسف بارئيل من منصبه في رئاسة سلطة البث. المرشح للمنصب كان موردخاي شكلار. اولمرت نسق مع شارون في ذلك، إلا أن شارون ندم خلال التنفيذ.

اولمرت شعر بأنه قد خُدع وأنه قد تعرض للخيانة فاستشاط غضبا وقرر الرحيل. إلا أنه ابتلع الاهانة بعد مناشدات وتوسلات (هيرشيزون مرة اخرى)، وبقي.

خلال شهرين ونصف في المنصب، برهن اولمرت انه ناضج لتوليه. ادارته للامور نموذجية تقريبا، ولكن الضوء التحذيري ما زال مشتعلا. التنبيه التحذيري ما زال ساريا. الثقة المفرطة والتسرع والغطرسة قد تتمخض كلها عن كارثة اذا كان صاحبها جالسا على كرسي رئاسة الوزراء. لهذا الغرض يوجد طاقم ومستشارون. عند اولمرت، خلافا لمن سبقوه، يلعب هؤلاء المستشارون دورا ثانويا. هو يُصغي، ولكنه يقرر وحده في نهاية المطاف، واحيانا يكون ذلك خلافا لما نصحه به مستشاروه، كما حدث مع نشر خطته السياسية قبل اسبوعين. لديه المزايا المطلوبة للمهمة المستحيلة التي تقف أمامه. وهو يملك احتمالات ليست بالقليلة للنجاح.

اولمرت على خلال سنوات رمزا للحياة المفتخرة والبحث عن الملذات، سيجاره ظاهر ومعروف (ولا يخفيه في جيب معطفه مثل نتنياهو)، وهو شخص دافيء ولطيف وبعيد عن عدسات الكاميرا. ولكن قدرا من غبار الفساد قد علق به في أكثر من مرة، ولكنه استطاع الإفلات من قبضة القضاء بطريقة ما. وهو ايضا صاحب نزعة للتشاجر والخصام مع السياسيين والصحفيين والشركاء والخصوم.

في الاشهر الأخيرة خلع اولمرت شخصيته هذه وتحول الى انسان آخر مختلف تماما. المقربون منه هم رفاقه: المحامي اوري ميسر والمحامي ايلي زوهر والمحامي حنينا برنديس والصحافيون أمنون دنكنر ودان مرغليت واسحق لفني وتومي لبيد.

الأكثر ثقافة بين الثلاثة

بنيامين نتنياهو قد يكون أكبر فرصة ضائعة في السياسة الاسرائيلية. قدرة كامنة هائلة ومواهب كثيرة وخيبات أمل متواصلة ومتكررة. هو يدعي أن الصحافة هي التي «تقتل شخصيته» أمام الناس، ولكن ذلك ادعاء مرضي في أحسن الاحوال. نتنياهو يتسبب بذلك لنفسه. التحقق من الحملة الاعلامية يُظهر أنه كان لفترة طويلة صاحب صورة «المُصلح الأكبر»، وأنه الأقل تعرضا للضربات. اولمرت تحديدا كان في بؤرة الاستهداف الاعلامية خلال الاسابيع الثلاثة الأخيرة، وتلقى الضربات من كل الاتجاهات. إلا أن هذه الحقيقة لا تثني نتنياهو عن مواصلة الظهور بمظهر القوزاقي المظلوم الذي يقف وحيدا في مواجهة الطغمة والاعلام.

نتنياهو هو الأكثر ثقافة بين المتنافسين الثلاثة. جاء الى البلاد مُعرجا على جيل كامل من الأمراء ومُعلما الجميع درسا في فن السياسة، وسيطر على الليكود، ومن ثم وصل الى رئاسة الوزراء بشجاعة مذهلة. وهنا ظهرت المشكلة: ليست لديه مهارة الشخصية رقم واحد. والده، البروفيسور تسيون نتنياهو، أعطى وصفا جيدا لهذه المشكلة. نتنياهو كان وزير مالية ناجحاً وأنقذ الاقتصاد الاسرائيلي بأصابعه العشر وضحى برصيده الانتخابي وجلس على الجدار واقتحم الجدار ليحرز النصر. وفي وزارة الخارجية كان ناجحا لصفاته المعروفة. أداؤه رائع جدا الى أن يصل الى القمة، وعندها يبدأ الخلل في الظهور.

هو لا يتحمل الضغوط. صحيح أن هذا قالب جاهز ومُعد سلفا ولكنه يدخل في حالة فزع. عندما كان رئيسا للوزراء تكررت هذه الميزة لديه خلال كل فترة وجوده في الحكم. كيف زحف الى واشنطن إثر أحداث النفق، وهناك «وجد رفيقا جديدا»، واسمه ياسر عرفات. وكيف قام باطلاق سراح احمد ياسين (يجب القول أن اريئل شارون كان شريكه في هذه الخطوة). وكيف تورط مرة تلو اخرى في سلوكه الشخصي الفضائحي وزرع الشقاق في بطانته وتورط في عدد لا ينتهي من التحقيقات البوليسية والفضائح.

تفاخره في كبح الارهاب ليس له أساس، ليس هناك خبير أمني لا يقول بأن من ضرب حماس في مطلع 1996 كان محمد دحلان، حيث كانت تلك ضربة قاصمة لم يشهد لها التنظيم مثيلا. بيبي حصد ثمار هذه الضربة طوال فترة حكمه كلها. بعد ذلك تنحى، ومن ثم عاد، ومن ثم نفذ سلسلة رهيبة من الأخطاء الصعبة. أحجم عن قطف رئاسة الوزراء المؤكدة في 2001، وقام بانقلاب الموز البائس ضد شارون في 2005، وأيد فك الارتباط اغلبية الوقت عندما كان عليه أن يعارضه، ومن ثم عارضه في نهاية المطاف عندما توجب عليه أن يؤيده. لو كان قد تصرف بصورة مغايرة لكان جالسا الآن على كرسي رئاسة الوزراء.

قبل ثلاثة اسابيع نُشرت هنا حكاية «اللقاء الذي لم يحدث». نتنياهو جلس عند يئير لبيد قبل دخول شارون الأخير الى المستشفى بأربعة ايام، وتحدث عن لقائه الاول مع شارون، في القيادة العسكرية في أحد الايام الاولى من حرب يوم الغفران، وأن ايهود باراك كان في معيتهما. الثلاثة كانوا معا حسب قول نتنياهو وخططوا العمليات في عمق العدو. نتنياهو قال ان قذيفة مصرية واحدة كان بامكانها في ذلك الحين أن تقضي على شريحة قيادية اسرائيلية بأكملها. حقا انها لحكاية مثيرة. تراث حربي تقشعر له الأبدان، من شأنه أن يُدخل نتنياهو في المنتخب الذي يُقزم كل ما عداه. ولكن الحقيقة هي أن هذا اللقاء لم يكن أبدا.

ولكن كلا من شارون وباراك لم يؤكد هذه الحكاية المثيرة التي تضع علامات استفهام على شخصية نتنياهو. كان من الأفضل لنتنياهو أن يجهش بالبكاء بدلا من أن يبدأ في الدفاع عن نفسه بطريقة تزيد من الشكوك حول الفرية. من الناحية الاخرى كان نتنياهو مضطرا لذلك، فحملته بدت خاسرة، ولذلك اضطر للقيام بخطوة دراماتيكية لتحسين وضعه. لدى بنيامين نتنياهو الكثير من المزايا الجيدة والهامة لمنصب رئاسة الوزراء في اسرائيل، ولكن المشكلة هي مع الصفات التي لا يمتلكها. كل ما حدث له حدث بسببه وليس بسبب غيره. كل الحُفر التي سقط فيها كانت قد حُفرت بكلتا يديه. لو كان قد سمع ما يقولونه